

إن أحسن القصص هي قصص القرآن لما فيها من العطاءات وال عبر التي تنفع من تدبرها وتأملها عقيدة وعبادة وسلوكاً .
والله عز وجل ما ذكر القصص في القرآن تسلية وإضاعة للأوقات وإنما أنزلها لأخذ العبرة منها قال الله تعالى (لقد
كان في قصصهم عبرة)

ومن قصص القرآن قصة أصحاب الكهف التي ذكرها الله في سورة الكهف وهي السورة التي رغب النبي صلى الله عليه وسلم في قراءتها وحفظ بعض آياتها ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال) . وعن أبي سعيد الخدري انه قال (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق) رواه البيهقي وله حكم الرفع ..

وملخص قصة أصحاب الكهف أنهم فتية آمنوا بربهم ووحدوه في العبادة وكان قومهم مشركين فاعتزلوهم إلى كهف فضرب الله عليهم النوم فناموا ثلاثة أيام وتسعة سنوات . ثم بعثهم الله من نومهم فحفظ الله لهم دينهم ووقفهم الفتن وعصمهم منها ونالهم شئ كبير من العز والشرف بعد أن تبدل أحوال الناس جراء صبرهم وثباتهم وإيمانهم ..
ويستفاد من قصتهم فوائد كثيرة ومنها ..

أولاً:

أن قصتهم مع عجيب شأنها فإنها ليست بأعجب آيات الله، بل أتعجب منها خلق الأرض وما خلق فيها من أنواع الزينة ومن كل شئ ثم يفني ذلك بقدرة الله ثم ببعث الله الخلائق ليجازيهم على أعمالهم .

فليتفكر المسلم في خلق السموات والأرض وليتذكر أنه خلق لعبادة الله وحده وليتذكر معاده وليستعد له بأحسن العمل قال الله تعالى (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنما لجأعولون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أى وإن كانت قصتهم عجيبة إلا أن ما تقدم ذكره أتعجب وأعظم .

ثانياً:

أن هؤلاء الفتية نشأوا في بيئة كافرة مشركة تبعد من دون الله آلته أخرى ولكن الله عزوجل تداركهم بلطفه ورحمته فهدتهم إلى الإيمان والتوحيد . فآمنوا بالله وحده وعلى العاقل أن يكون رائده الحق لا التعصب لما عليه الآباء والأسلاف فحيث تبين له الحق فليلتزم به ولا يمنعه من قبول الحق هوى أو حظ من حطوط النفس الأمارة بالسوء فالحق أحق أن يتبع .

ثالثاً:

لما عرف أولئك الفتية الحق جهروا به كما قال تعالى (إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لنندعوا من دونه إليها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آللة لولا يأتون عليهم بسلطن بين فمن أظلم من افترى على الله كذبا) وأكثر المفسرين أنهم قالوا هذا الكلام العظيم أمام ملك زمانهم .

وما كانت دعوتهم إلا دعوة الرسل ألا وهي إفراد الله بالعبادة والبراءة من عبادة ما سواه .

ما طالبوا بحكم ولا نافسوا على ملك ولكن دعوا إلى إفراد الله بالعبادة وهكذا على كل من عرف الحق وعلمه عليه أن يدعوا إليه على بصيرة وحكمة وأن يسلك في دعوته مسلك النبيين وأتباعهم من العناية بالتوحيد والدعوة إليه وتحذير مما يضاده

ومع ما هدى الله أولئك الفتية إليه من الدعوة إلى الحق فقد من عليهم بأن ربط على قلوبهم وثنيهم في ذلك المقام الحرج والله لا يخذل من صدق معه وتسلح بسلاح الصبر واليقين

رابعاً:

حين خشي أولئك الفتية من أذى قومهم رأوا أن يفروا بدينهم وبأنفسهم في مكان يبعدون ربهم فيه آمنين مطمئنين و

العزلة مطلوبة حين لا يكون لمحالطة الناس ودعوتهم جدو ولا أثر أو كان المرء يخاف على نفسه من أهل الباطل أن يتعرض لبلاء لا طاقة له به بأن يفتتوه عن دينه ببطشهم أو أن يرتد على عقبيه فيضعف إيمانه لمحالطتهم فيشاركونهم في معصية الله تعالى.

فلجؤوا إلى الكهف وابتلوا إلى الله قائلين (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) فكانت قلوبهم معلقة بالله وحده فـأواهـم الله وسلمـهم وحفظـهم وجعل لهم لسان صدق إلى يوم القيمة.

وإذا كانت عزلة أولئك الفتية بحق فإنـنا نجدـ اليوم منـ الشـبابـ منـ يـعـتـزـلـ أـسـرـتـهـ وـمـجـتمـعـهـ بـيـاطـلـ تـأـثـرـ بـبعـضـ المـنـاهـجـ التيـ تـصـورـ لـهـمـ أـنـهـمـ يـعـيشـونـ فـيـ مجـتمـعـ جـاهـلـيـ ولاـ سـيـيلـ لـهـمـ إـلـىـ الـخـالـصـ منـ شـرـورـ إـلـاـ بـالـعـزـلـ الشـعـورـيـةـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـهـ ثـمـ بـالـانـضـامـ إـلـىـ مـجـمـوعـاتـ تـحـمـلـ نـفـسـ الـفـكـرـ وـلـهـذـاـ نـجـدـ كـثـيرـاـ مـنـ الـآـبـاءـ لـاـ يـعـلـمـ عـنـ أـبـانـاهـ شـيـئـاـ ثـمـ لـاـ يـسـمـعـ بـهـ إـلـاـ فـيـ بـلـادـ الـفـنـ وـالـفـوـضـيـ،ـ أـوـ صـحـاـيـاـ أـعـمـالـ تـخـرـيـسـيـةـ كـانـواـ هـمـ وـقـودـهـاـ وـحـطـبـهـاـ.

ومما يلفت الانتباـهـ ماـ كـانـ عـلـيـهـ أـولـئـكـ الـفـتـيـةـ مـنـ الـحـلـمـ وـالـتـؤـدـةـ وـالـأـنـاةـ وـهـذـاـ مـنـ تـوـفـيقـ اللـهـ لـهـمـ .ـ فـإـنـهـ مـعـ كـوـنـهـ وـاجـهـوـاـ مجـتمـعـاـ مـشـرـكاـ شـرـكـاـ أـكـبـرـ إـلـاـ أـنـهـمـ أـدـرـكـواـ ضـعـفـ قـوـتـهـمـ وـقـلـةـ عـدـهـمـ فـاعـتـزـلـوـهـمـ وـكـفـواـ أـيـدـيـهـمـ عـنـهـمـ.ـ وـأـكـثـرـ مـصـائـبـ الـعـالـمـ إـلـاسـلـامـيـ الـيـوـمـ نـاتـجـةـ عـنـ التـهـورـ وـالـطـيـشـ حـيـثـ يـتـحرـشـ الـضـعـفـاءـ بـالـأـقـوـيـاءـ فـتـعـودـ الـعـاقـبـةـ وـخـيـمةـ عـلـىـ إـلـاسـلـامـ وـأـهـلـهـ وـديـارـهـ.

خامسا:

أنـ منـ صـدـقـ مـعـ اللـهـ صـدـقـ مـعـهـ وـأـحـاطـهـ بـلـطـفـهـ وـهـيـأـ لـهـ مـاـ لـاـ يـخـطـرـ لـهـ عـلـىـ بـالـ فـقـدـ أـلـقـيـ اللـهـ عـلـيـهـ النـوـمـ مـئـاـنـ السـنـينـ وـأـكـرـمـهـ بـأـنـ صـرـفـ عـنـهـمـ ضـيـاءـ الشـمـسـ فـلـاـ يـؤـذـيـهـمـ مـعـ كـوـنـهـمـ فـيـ مـقـابـلـهـاـ عـلـىـ مـاـ حـقـقـهـ بـعـضـ الـمـفـسـرـيـنـ لـأـنـهـ جـعـلـ ذـلـكـ مـنـ آـيـاتـهـ فـدـلـ عـلـىـ أـنـ مـاـ حـصـلـ لـهـمـ أـمـرـ خـارـقـ لـلـعـادـةـ.

وـكـانـ سـبـحـانـهـ يـقـلـبـهـمـ ذـاتـ الـيـمـينـ وـذـاتـ الـشـمـالـ حـتـىـ يـحـسـبـهـمـ النـاظـرـ أـيـقـاطـاـ وـحـتـىـ لـاـ تـأـكـلـهـمـ الـأـرـضـ.ـ وـأـلـقـيـ عـلـىـ مـنـ يـطـلـعـ عـلـيـهـمـ الرـعـبـ فـلـاـ يـدـخـلـ إـلـيـهـمـ أـحـدـ.

فـحـفـظـهـمـ اللـهـ أـيـقـاطـاـ وـحـفـظـهـمـ نـائـمـينـ وـحـفـظـهـمـ فـيـ قـلـوبـهـمـ وـفـيـ أـبـدـانـهـمـ وـفـيـ أـمـوـالـهـمـ.ـ وـمـنـ حـفـظـ اللـهـ حـفـظـهـ اللـهـ .

سادسا:

فضلـ الصـحـبةـ الصـالـحةـ فـإـنـ الـكـلـبـ لـمـ صـحـبـ أـولـئـكـ الصـالـحـينـ نـالـهـ مـنـ بـرـكـاتـهـمـ فـأـلـقـيـ عـلـيـهـ النـوـمـ مـعـهـ وـبـقـىـ ذـكـرـهـ مـعـهـمـ.ـ وـفـىـ الـحـدـيـثـ (ـأـنـ الرـجـلـ يـمـرـ بـحـلـقـةـ ذـكـرـ فـيـ جـلـسـ فـيـهـاـ فـيـغـفـرـ اللـهـ لـهـ مـعـهـمـ)ـ فـعـلـىـ الـمـسـلـمـ وـلـاـ سـيـماـ الشـابـ فـيـ مـقـبـلـ عـمـرـهـ أـنـ يـحـسـنـ اـخـتـيـارـ الصـحـبةـ وـلـيـحـرـصـ عـلـىـ أـصـحـابـ الـعـقـيـدـةـ السـلـيـمـةـ الـمـجاـفـيـنـ لـلـبـدـعـ وـأـهـلـهـاـ الـمـحـافـظـيـنـ عـلـىـ خـصـالـ الـخـيـرـ فـيـ الـعـبـادـةـ وـالـتـعـاـمـلـ وـلـيـحـذـرـ كـذـلـكـ مـنـ صـحـبـةـ الـأـشـرـارـ مـنـ أـصـحـابـ الـعـقـائـدـ الـفـاسـدـةـ أـوـ التـغـرـيبـتـ فـيـ الـعـبـادـةـ أـوـ الـأـخـلـاقـ الـسـيـئـةـ فـإـنـ صـحـبـهـمـ دـاءـ عـصـالـ يـضـرـ فـيـ الـحـالـ وـالـمـالـ.ـ وـفـىـ الـحـدـيـثـ (ـأـنـتـ مـعـ مـنـ أـحـبـتـ)ـ وـفـىـ الـحـدـيـثـ الـآـخـرـ (ـالـمـرـءـ عـلـىـ دـيـنـ خـلـيلـهـ فـلـيـنـظـرـ أـحـدـكـمـ مـنـ يـخـالـلـ).

سابعا:

فضلـ التـبـاحـثـ فـيـ الـعـلـومـ النـافـعـةـ فـإـنـ أـولـئـكـ الـفـتـيـةـ حـيـنـ بـعـثـهـمـ اللـهـ مـنـ نـوـمـهـ أـخـذـوـاـ يـتـسـأـلـوـنـ فـيـ الـمـدـةـ التـيـ اـسـتـغـرـقـوـهـاـ فـيـ نـوـمـهـمـ وـانـقـسـمـوـاـ فـرـيقـيـنـ مـنـهـمـ مـنـ قـدـرـهـاـ مـدـةـ قـصـيـرـةـ فـجـعـلـهـاـ يـوـمـاـ أـوـ بـعـضـ يـوـمـ،ـ وـمـنـهـمـ مـنـ شـعـرـ أـنـهـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ وـلـكـنـ دـوـنـ تـحـقـيقـ فـوـكـلـوـاـ الـعـلـمـ إـلـىـ اللـهـ .

وـوـجـهـ كـوـنـهـ بـحـثـاـ فـيـ عـلـمـ نـافـعـةـ أـنـ اللـهـ إـنـمـاـ بـعـثـهـمـ لـمـصـالـحـ وـمـنـهـاـ أـنـ يـتـسـأـلـوـنـ عـنـ هـذـهـ الـمـدـةـ فـإـذـاـ عـرـفـوـهـاـ عـرـفـوـهـاـ بـذـلـكـ لـطـفـ اللـهـ بـهـمـ وـحـسـنـ عـنـايـتـهـ وـرـعـايـتـهـ لـهـمـ.

وـيـنـبـغـيـ أـنـ تـعـمـرـ الـمـجـالـسـ بـذـكـرـ اللـهـ وـبـالـتـبـاحـثـ فـيـ الـعـلـومـ النـافـعـةـ التـيـ بـهـاـ حـيـةـ الـقـلـوبـ وـصـلـاحـ الـأـخـلـاقـ.ـ وـلـيـحـذـرـ الـمـسـلـمـ مـنـ مـجـالـسـ الـغـفـلـةـ فـإـنـهـ (ـمـاـ مـنـ قـوـمـ يـجـلـسـونـ مـجـلسـاـ ثـمـ يـقـوـمـونـ وـلـمـ يـذـكـرـوـاـ اللـهـ فـيـهـ إـلـاـ قـامـوـاـ عـنـ مـثـلـ جـيـفـةـ حـمـارـ وـكـانـ ذـلـكـ الـمـجـلـسـ حـسـرـةـ عـلـيـهـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ).

وإذا ما بحثت قضية في الدين فليتكلم المسلم بعلم أو ليسكت ولتكن العلم إلى الله ولighzr أن يقول على الله بغير علم فيهلك قال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنده مسؤولاً).

ثامناً:

يستفاد من قصتهم الحرص على أكل الطيب المباح فإنهم أرسلوا أحدهم وأمروه أن يعتني بأذكى الطعام . ويدخل في زكائه إياه وحله دخولاً أولياً . ولا بأس باختيار أطابق الطعام ولكن على المسلم أن يعني أولاً بألا يأكل إلا طيباً زكياً ولighzr من المكاسب الحرجية فالجسد إذا نبت على غذاء حرام كان إلى النار وفي الحديث (أيما جسد نبت من سحت فالنار أولى به)

ونحن في زمن كثرة فيه المعاملات التجارية المحرومة والمشتبهه وصار كثير من الناس لا يهمه إلا تحقيق الأرباح وتحصيل المكاسب دون أن يبالي أمن حلال ريح أم من حرام والعياذ بالله
تاسعاً:

في هذه القصة دليل ظاهر باهر على البعث والنشور يوم القيمة فالذي أيقظ أولئك الفتية بعد ثلاث مائة سنة قادر على إعادة الأجساد بعد موتها، ولذلك قال تعالى (وكذلك أغثنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها)

عاشرًا:

نوه الله بشأن أولئك الفتية في آخر أمرهم حيث أغثر عليهم، ورفع ذكرهم وأجلّ قدرهم حتى إن الناس اختصموا فيهم بعد الخوف والذلة والعزلة مصداق قوله تعالى (فاصبر إن العاقبة للمتقين) ومصداق قوله تعالى (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)

وهنا يجدر التنبيه إلى أن بناء المساجد على قبور الأنبياء أو الصالحين منكر عظيم ومن فعله فهو ملعون، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم عند موته من ذلك تحذيراً بالغاً فقال: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور الأنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا.

لأن بناء المساجد على القبور يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله بدعائهما والذبح عندها والنذر لها.

والله عز وجل لم يذكر مسألة بناء المسجد على أولئك الفتية ترغيباً فيه ولا حثاً عليه ولكنها حكاية حال وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم ببيان حكم هذا المنكر العظيم فلا حجة لمن يستدل بالقصة على بناء المساجد على القبور أو دفن الموتى في المساجد.

أسأل الله أن يفقهنا في دينه وأن يعلمنا تأويل كتابه وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

علي بن يحيى الحدادي

الرياض

www.haddady.com